خط أحمر

سليمان جودة

ذنب المكتبة!

فى ٢٦ إبريل من العام قبل الماضى، جاءتنى رسالة من الدكتور إسماعيل سراج الدين، كان يُعقب فيها على سطور كتبتها فى هذا المكان، تحت عنوان: ذنب مكتبة الإسكندرية!

كان الرئيس قبلها قد طلب أن تخرج المكتبة إلى الصعيد، وإلى الدلتا من بعد الصعيد، وأن يصل نفعها إلى خارج الإسكندرية، وأن يكون دورها ممتداً ليخدم كل مواطن.. وكان أن كتبت فى الموضوع!

ومما قاله الدكتور سراج الدين، فى رسالته، أن برنامج «سفارات المعرفة» الذى بادرت به المكتبة، قد جعل طلاب الجامعات هدفاً، وأنه قد بدأ من جامعتى القاهرة والمنيا، ثم زحف ليصل إلى أغلب الجامعات، وأن برنامجاً آخر اسمه نوادى العلوم، يتوازى معه، فى الإسكندرية والبحيرة وكفر الشيخ، وأن التعليم، كقضية، سيكون موضع اهتمام أكبر من جانبها فى المستقبل!

وكان مما ألمح إليه الرجل، وقتها، أن نشاط مكتبته التى يديرها، أوسع ربما بكثير، مما يأتى عنه فى وسائل إعلامنا، لأنها وسائل قاهرية فى الجزء الغالب منها، وأنها، لذلك، مدعوة إلى أن تمنح المكتبة اهتماماً يليق بها، ويتناسب مع ما تؤديه من مهام!

وقبل يومين غادر الدكتور إسماعيل، بعد أن أعطى المكان الكثير من اسمه، ومن علمه، ومن مكانته بين أقرانه فى العالم، وجاء فى مقعده الدكتور مصطفى الفقى، الذى أظن أن المكتبة فازت به، أكثر مما فاز هو بمنصب المدير فيها، لأنه لم يذهب إلى موقع من قبل، إلا وأضاف إليه كما لم يفعل أحد، بدءاً من وجوده إلى جانب مبارك، مديراً لمكتبه لشؤون المعلومات والمتابعة، مروراً بالمعهد الدبلوماسى الذى تولى إدارته، وانتهاء بسفارتنا فى النمسا التى كان ممثلاً لرئيس الجمهورية فيها، ومندوباً لنا فى المنظمات الدولية هناك!

الآن.. سعت المكتبة إلى الدكتور الفقى، ولم يحدث أن سعى هو إليها، وإذا كان له أن يرتب أولوياته مع أول أيامه فى هذا الموقع المهم الجديد، فتقديرى أن الأولوية الأولى هى أن يخرج بالمكتبة، من الساحل الذى تطل عليه فى الشمال، إلى سائر أنحاء البلد، من حيث الأثر الذى لابد أن تعود به على الناس، ومن حيث حصيلتها التى لا بديل عن أن تكون موزعة على أرجاء الوطن!

وسوف يقدم المدير الجديد أعظم خدمة لتسعين مليوناً من المصريين، إذا قرر أن يكون جانب من عمل المكتبة مُسخراً فى سبيل الارتقاء بالتعليم، كخدمة عامة تقدمها الدولة لمواطنيها.. إن المستوى المتاح من هذه الخدمة هذه الأيام، دون المستوى المطلوب بكثير، ولا يمكن أن يكون الدكتور الفقى فى المكتبة، مديراً، ثم لا يوظفها فى هذا الاتجاه بكل ما عنده من طاقة وعزيمة!